

الثلاثاء 04-12-2007

95- العين الداخلية (والأنف الداخلية كذلك)

وأنا أكتب اليوم يومية الغد (الثلاثاء 4 / 12 / 2007) بعنوان "الأنف تدرك مثل العين أحياناً"، رحت أعقب على ما جاء في المقتطف من جلسة العلاج الجمعي، فوجدت أن المسألة تزداد صعوبة باضطراد، بل وقد تزداد غموضاً أيضاً، ثم إنني قد رجعت إلى يومية اليوم، وحين قرأتها أشفقت على نفسي، وعلى القارئ من كل ذلك، وقلت لنفسي:

إذا كان القارئ (وأظن الأطباء أيضاً- بالنسبة للفروض التي أقدمها) لايعرف كيف تدرك العين حقيقةً وفعلاً ما يصلها بمستويات الإدراك العادية، فكيف أقدم لهم مفهوماً يشرح الهلوسات الشمية، وأنا أفترض وجود أنف داخلية، أسوة بوجود عين داخلية، في مقابل العين والأنف الظاهرتين كما نعرفهما؟

كم من الأطباء الزملاء يقر احتمال فرض أن ثمّ عيناً داخلية يمكن أن ترى ما بالداخل باعتباره كيانات حقيقية، وليس مجرد تأليف خيال المرضى؟

كم من الأطباء الزملاء يقر فرض "تعدد الذات" داخلنا؟

كم من الأطباء الزملاء يقر فرض أن نوم حركة العين السريعة (النوم النووي الذي تحدث فيه الأحلام) هو نتيجة أن العين الداخلية تتابع عملية ترتيب المعلومات عشرين دقيقة كل تسعين دقيقة؟

إذا لم نقر احتمال صحة هذه الفروض فكيف ندرك أن الأنف تدرك مثل العين أحياناً !

وتدرك ماذا؟

تدرك عالم الداخل!!

ثم كيف أكتب مقالا بهذا العنوان ونحن لم نتعرف بدرجة كافية على كلمة "تدرك" (ماهية الإدراك)، ولا على حتى كيف تدرك العين العادية والأنف العادية الخارجتان ما تدركان!، فما بالك بإدراك العين الداخلية والأنف الداخلية لداخلنا خاصة في حالة المرض؟.

مرة أخرى: لِمَنْ أَكْتُبُ ؟

أصبحت - بعد ثلاثة أشهر- على يقين أنني أكتب للشخص العادى أساسا، لا للزميل الطبيب، وليس حتى للمثقف العادى جدا .

كما أنني أصبحت أقرب إلى تصديق أن الشخص العادى، وبالذات من مَرَّ بأزمة لم تكتفها العقافير تماما، وباستمرار، يمكننى أن أصل إليه بما أريد أكثر كثيرا من الذى تبرمج على المعطيات الجامدة والثابتة سنوات وسنوات .

وفيما يلى دليل على ذلك من الرد الوحيد الذى وصلنى من "صديق الموقع" الذى لا بد أن القراء يعرفونه من بريد/ حوار الجمعة، وليسمح لى أن أعتذر له عن عدم ذكر اسمه هنا فى المتن، لأسباب لا تحفى عليه، وقد أرجع عن ذلك يوم الجمعة، أو حسب ما يطرأ .

..... ردّ صديقنا على يومية أمس قال:

بسم الله ،

- الحياه رجيتها طاقه قوى متداخله، رذاذ أوكسجين..
- بالنسبة لريحة الموت فهي مكتومه وساعات بتكهرب وغيبه وتخنق وزى النار، ويمكن تشبه الحديد.
 - وكل هجاد ليه رجه شكّل:
 - فالخديد مثلا رجهته دم .
 - وانا جوايا رجة كولونيا.
 - ولا باضرب "....." رجيتى بتبقي ورد،
 - ولا باركض رجيتى بتبقي مكسرات .
 - وريجة عرقى بول طيور منزل.
 - وريجة خُزى "نشوء" وشكمان عربيه " بي ام دبليو" الصبح فى الشبوره.
 - وما أدركه مجواسي هو الحقيقه..
 - حقيقتك يا عم يحيي... أنا أقراك وأعرفك كما أعرف نفسى وأكثر.
 - باشمك وعارف رجة..(ولأ بلاش لتشتمنى).
 - نظرى بيقولو إنك سفاح .
 - وملمسك بيقولو إنك رقيق وبتاع بنات .
 - وريجتك وانت فى الحمام مش وحشه أوى.
 - وريجة عرقك ياسمين.. أيوه.
 - وريجة بقك سرتو انا مش باهزر
 - ده جدل مش أكثر، ويمكن اوصل منه لنتيجه أحسن شويه،
 - يمكن أعرفك أكثر،
 - يمكن أقدر أكرهك

تعقيب على تعقيب

بصراحة ، أخذت كل كلمة من صديقنا هذا مجدية مطلقة ، وصدقته بهدوء وصبر واحترام ، وتصورت أنني لو قدمت ما حدث

في العلاج الجمعي كما كتبتة قبل هذه اليومية الشارحة، سوف يصله أكثر من أى زميل لم تتح له فرصة مشاهدة العلاج الجمعي رأى العين .

مرة أخرى : الغرض الأساسي

إن ما حدث في مقتطف جلسة العلاج الجمعي الذى سوف نقدمها غدًا هو الاعتراف بأن لكل منا "أنف داخلية"، يمكن أن تلتقط فعلا ما بالداخل وتجسده، وقد تشوّهه، وقد تضيف إليه .

صديقنا هنا سمح لها أن تبدأ النشاط، ثم تناولها بما يفسر فعل ذلك .

تصورت أنه يستدعى الذكرى، يستحضرها، فتقلب معاشة؛ فتفوح رائحة ما، فيقرّب بها، فتنقله من الداخل إلى أقرب ما يقفز إليه من حزون أجدبته، ثم يضع الوصف الذى يحضره، وخلص

يحدث كل ذلك - ربما - في أقل من ثانية

المبدع يفعل مثل ذلك تماما،

لكنه يجتوى هذه الخبرة ويتحمل مسؤوليتها،

ويسمح لها أن تنضح،

وأن تنساب، وتتشكل

ثم يراجعها، ويصقلها الخ الخ

المهم أننا نحاول أن نؤكد ضرورة أن نبدأ من الخبرة، ومن احتمال صدقها قبل أن نسارع بالحكم عليها .

تردد جديد

ولكن ماذا يفيد الشخص العادى من كل هذا ؟

طيب، وأنا أعمل ماذا ؟

ليس أمامى إلا أن أواصل، وما يصل يصل لأصحابه!

فلتسمحوا لى أن أؤجل موضوع العلاج الجمعي وما حدث فيه من شَمّ وروائح وتمثيل وتفاعل حتى نتعرف بأى قدر اليوم على بعض ماهية الإدراك، والهلوسة، والعين الداخلية

عن الإدراك

يُعَرّف الإدراك تعريفا تقليديا يقول:

"إن الإدراك هو العملية التى نقارن فيها الأحاسيس التى نستقبلها بما سبق أن حصلناه من معلومات"

أو هى "العملية التى تعطى للعلامات معنى".

العلامات غير الرموز.

الفرق بين العلامة والرمز هو أن العلامة جزء من المثير (المعلومة)،

في حين أن الرمز دال على ما يفيد، فهو محل محله.

الإدراك عملية أكثر اختصاصا بالعلامات منها بالرموز الجردة.

الذي يحاول أن يتوقف عند هذا التعريف سوف يجد نفسه محصوراً بين التذكر والرمزية والترجمة،

ترجمة المثير الذي يصلنا إلى ماسبق أن تعلمناه،

وبالتالي سوف يبتعد عن عملية أشمل هي التعرف على البيئة حتى لو لم نستطع أن ن فك رموزها، أو نستدعي ما يقابلها من ذاكرتنا

تعريف أوسع

يسعنا العلم بتوسيع لمفهوم الإدراك أوسع وأشمل حين يقول:

"الإدراك هو العملية التي يمكن بها للكائن الحي أن يتعرف على البيئة."

الآن نوجز عموم ماهية الإدراك كما يلي :

(أ) إن عملية الإدراك تُعنى بالتعرف على البيئة، أكثر من تسميتها أو تحديدها ماهيتها.

(ب) إنها تهتم ابتداء بالمعلومات "الخسية" (وإن كان التعرف الكلي قد يتجاوز الاحساس)

(ج) إنها عملية معرفية مباشرة أكثر منها تجريدية أو رمزية .

(د) إنها عملية تجرى قبل وبعد التفكير والخيال

العين الداخلية :

اتسع مفهوم الإدراك مؤخراً أكثر فأكثر ليشمل العملية التي نتعرف بها -مباشرة- على البيئة الداخلية (وهذا ما أسماه Sims العين الداخلية).

على الرغم من أن مفهوم العين الداخلية هو صعب الإثبات، إلا أنه مدخل شديد الدلالة والفائدة لسير غور الجانب الآخر من الإدراك الذي يتجلى خاصة في الخبرة الذهانية، وإلى درجة أخفى، وربما أهم، في الخبرات الإبداعية الصوفية والإيمانية.

هكذا يصبح مفهوم الإدراك باعتباره الخطوة الأساسية في العملية المعرفية بما في ذلك الدراية Awareness. يصبح مفهوماً أوسع وأشمل باعتباره البوابة المعرفية الأولية التي توصل مستويات الوجود -في الداخل والخارج- بعضها ببعض بدرجات متفاوتة من الدراية.

من هذا المنطلق أيضا يتسع مفهوم الإدراك ليشمل الإدراك المتجاوز للحواس،

وكذلك ليشمل الإدراك عامة ما هو إدراك البيئة الداخلية للذات بما في ذلك إدراك صورة الذات، وصورة الجسد ومخطط الجسد.. إلخ

كما يسمح هذا الاتساع لدى الإدراك أن تشمل دراسته ما يسمى أحيانا بالظواهر الخارقة للعادة، والتي لا تعتبر مرضية أصلا، وهي الظواهر التي تدرج فيما يسمى علم الباراسيكولوجي باعتبارها ظواهر نشاط نفسسيولوجي يقع في نطاق مفهوم التعرف على البيئة الداخلية والخارجية بشكل أو بآخر،

الإدراك والتفكير والخيال

نذكر بأن علاقة الإدراك بالتفكير والتخيل علاقة دقيقة وعميقة. ففي حين يعتبر الإدراك أساسى ولخظى وبدئى لكثير من أشكال عملية التفكير، نجد أن الأمر ليس كذلك فيما يتعلق بالتخيل، ذلك أن الإدراك يتضمن بصورة مباشرة قدرا وافرا من الشعور بواقع مائل (سواء كان من البيئة الداخلية أو الخارجية) في حين أن التفكير هو عملية مفاهيمية تجريدية ترابطية، والخيال كذلك تماما، لكنه يتجاوز الواقع لا أكثر.

إدراك الداخل والاستبطان

إن الدراية المباشرة بالحياة الداخلية (إدراك الداخل) ليست مرادفة لما يسمى الاستبطان أو التأمل الداخلى، لأن الطريقة الأخيرة يغلب عليها النشاط المعقلن المترجم إلى رموز كلامية، وألفاظ راصدة، وشارحة لعالم الداخل، وكل ذلك أقرب إلى التفكير في الداخل ووصفه والحكم عليه،

أما إدراك البيئة الداخلية فهو أول خطوة في كثير من العمليات النفسية (المعرفية والوجدانية على حد سواء).

والاستبطان قد يلى هذا الإدراك المباشر: وصفا عقليا للعالم الداخلى بمفاهيم تجريدية لكنه ليس هو هو

نتيجة تنشيط العين الداخلية

ما هو ناتج تنشيط العين الداخلية ؟

يختلف ناتج تنشيط العين الداخلية من شخص لآخر بحسب استثمار ما التقطته هذه العين، فهي

(1) إما أن ترصد ما بالداخل ثم تعقلنه ثم تحكيه استبطانا كما ذكرنا حالا

(2) وإما أن تستعمل ما وصلها في إعادة تنظيم إبداعى

(3) وإما أن تعلن العين الداخلية رؤيتها هذه بشكل مباشر فترى الداخل باعتباره إدراكا حسيا لكنه غير موجود (إلا في الداخل)، وهذا ما سوف نسميه (بعد قليل) الهلوسة البصرية (وليس البصرية)

(4) وإما أن تسقطه إلى الخارج ثم تستقبله إحساسا قادمًا من مصدر خارجي تماما فهي الهلوسة التقليدية
 (5) وإما أن تزداد به وعيا غامضا أقرب إلى الخُدس الذي يعمق الوعي دون ترجمة مباشرة، ثم تتناوله تشكيلا جديدا وهذا يتضمن بعض الخبرات الإبداعية بما في ذلك إبداع الذات (التصوف)

البيئة الداخلية واللاشعور

البيئة الداخلية ليست مرادفة لما يسمى اللاشعور.

إنها تشمل الموضوعات الداخلية - كحقيقة وليست مجرد رموز أو قوى أو شواش دافعي، ينتمي إلى ما سماه فرويد "الهو" أو "الهي".

كما تشمل هذه البيئة الداخلية أفكارا، وصورا، وذكريات وأحاسيس، باعتبارها كيانات قائمة يمكن إدراكها "بما هي".

هذه الخلفية التي تبدو شديدة البساطة، يرفضها معظم الأطباء والمختصون بعنف حُكمي دامغ، مع أنها ضرورية لفهم الهلوسة (التي عرضنا بعض عيناتها أمس، ثم سنعرض كيفية التعامل معها غداً)

الهلوسة

الهلوسة هي خبرة إدراك حقيقي يعلن وجود موضوع كأنه حقيقي في البيئة المحيطة تستقبله الحواس من الخارج عادة، بالرغم من أنه ليس له وجود في الواقع.

كلمة "هلوسة" عموما يساء استعمالها عند العامة وأحيانا عند المختصين.

حين يقول الناس عندنا أن فلانا يهلوس فإنهم يعنون أنه يخلط في الكلام والتصرفات (يلخبط)، وهذا خطأ شائع ينبغي الانتباه إليه.

الهلوسات التي يحكيها المريض ألفاظا، أو يحكيها خيالا مريضا، أو حتى ينكر طبيعتها ويزعم أنها مجرد تهيؤات، هي هلوسات أيضا، ولكنها أقل أصالة، وهي لاتعنيننا هنا كثيرا، بل إننا لكي نتعامل معها من خلال هذا النوع من العلاج - الذي سوف نقدمه- نحاول أن نقلبها خبرة معاشة حتى تقترب من النوع الذي نتناوله هنا.

تحدث الهلوسة عند الشخص العادي في أحوال كثيرة منها:

- (1) حين الدخول في النوم (هلوسة الوَسْن)
- (ب) قبيل اليقظة الكاملة (هلوسة قبيل اليقظة)
- (ج) أثناء الأحلام (شكل)
- (٥) عند إثارة عضو الإحساس بمثير ميكانيكي (مثل رؤية نقط الضوء بعد دك العينين)

.....

الظاهرة التي تهمنا في هذا المقام هو ما اسميه **الهلوسة البصرية**، (وليس البصرية)، وفيها يحكى المريض عن خيرات حسية (الشم مثلما أسلفنا) لا يشعر بها غيره، وهو عادة ما يعزوها للخارج، برغم أنها بدايةً تكون مجرد إدراك للبيئة الداخلية .

وأحيانا ما يعرف المريض ذلك ويشير -مثلا- إلى أن الأصوات (الهلوسة السمعية) التي يسمعها بالرغم من أنها تصل أذنه (مثلا) فإنها تأتيه من داخل رأسه

وأحيانا يعلن بإصرار، أو كاحتمال أنها غير حقيقية (ونحن نفرح بذلك ونعتبره ذا بصيرة جيدة)

ثم إنه قد يتمادى فيصفها بأنها "**مجرد تهيؤات**"، (أنظر غداً حالة عصام) وهو بذلك ينفي أصلها الحقيقي، وهو يرضينا -نحن الأطباء- إذ لا نتوان في أن نحكم عليه بأنه يخيل إليه ما يعايشه، فهو بذلك أحسن ما دمنا لم نسمعها نحن معه.

مراحل نشأة الهلوسة

يمكن إيجاز هذه المراحل التي أشرنا إليها على الوجه التالي :

- 1- البيئة الداخلية تتحرك (كما يحدث في الحلم) لكنها تتحرك في اليقظة
- 2- العين الداخلية (أو الأنف الداخلية أو الأذن الداخلية) يمتد إدراكها، فتلتقط هذه التحركات وترصدها
- 3- قد تصل المريض حركية البيئة الداخلية على أنها أصوات الداخل أو روائح الداخل، أو أحيانا على أنها أفكار الداخل (بعد أن يحولها إلى ذلك)
- 4- قد يسقطها إلى الخارج عموما أو يلصقها بأشخاص معينين (وهذه هي الهلوسة التقليدية)
- 5- قد يُجل المريض محلها خيالات معقلنة فتصبح أقرب إلى الصور الخيالية منها إلى حقائق إدراكية ماثلة
- 6- قد يعترف أحيانا، أو متذبذبا، بأنها مجرد تخيل (تهيؤات) وفي هذه الحال وبرغم أنها خبرة إدراك حقيقية للداخل، فإن المريض (أو المبدع) يدرك ببصيرة واعية - بدرجة ما - أن ما يحكى عنه ليس واقعا خارجيا، ويقال إن بصيرته سليمة، وحقيقة الأمر أن هذه البصيرة تزيد من أصالة وحضور خبرة اضطراب الإدراك، وكأنها تدعونا إلى حسن تناولها

مشروعية وموضوعية العالم الداخلي

إن هذا المدخل للاعتراف بموضوعية العالم الداخلي هو الجديد

وهو يرفض من المريض إنكاره لأعراضه باعتبارها وهما (بعكس ما يفرح به الأطباء عادة)

أثناء العلاج النفسي المكثف نتعامل مع الهلوسة مع نحو

البصيرة بطريقة تجعلها تنقلب

- 1- من موضوع (أو فكر) مُسقط
- 2- إلى موضوع داخلي مُذكر
- 3- ثم إلى موضوع داخلي حقيقي، قادر على الالتحام بعملية التكامل الجارية،

وأثناء نقلة الموضوع من: المسقط الخارجى <== إلى الموضوع الداخلى "المستقل" <== إلى الموضوع الداخلى القابل للتكامل: يجرى الحديث فى العلاج عن الهلوسة باسم "الهلوسة" مباشرة،

ويستمر تحملها واستيعابها حتى يتم التكامل فى ظروف ملائمة، (ما أمكن ذلك)

وهذا ما سوف نقدمه غداً من جلسة العلاج الجمعى.

-Symptoms in the Mind, Andrew Sims Mind

وكنت قد وصلت إلى مثل ذلك من خبرتى الإكلينيكية قبل أن يصلنى فرض "سيمز" وهذا ما اسميته سابقاً، "المصدقية بالاتفاق"